

Vol 05	المجلد 05	حفريات المعرفة	Issn : 2830-912X
Num 02	العدد 02	Hafriyat Al-marefa	ديسمبر 2025

الوعي والكتابة النسوية عند آسيا جبار

نادية العقون

جامعة تيبازة - الجزائر

elaggoune.nadia@cu-tipaza.dz

ملخص البحث:

سعت المبدعة العربية إلى إبراز نفسها في الإبداع الأدبي العربي والغربي من أجل إعلاء صوت الموهبة النسوية في الفعل الكتابي على المستوى الدولي، سواء باللغة العربية أو اللغات الأجنبية؛ وعلى رأسهم الروائية الجزائرية العالمية صاحبة رائعة "نساء الجزائر" (les femmes d'Algerie) ورائعتها "أريس" (ARISE)، لتتنقل بأسلوب كتاباتها القضايا الوطنية الكبرى للشعب الجزائري، والقضية الشاغلة ذاتها للكاتبة هموم المرأة العربية والجزائرية خاصة، وتؤسس لركائز الكتابة النسوية، لتنادي بنقل الواقع النسوي لسيدة الجبل وهي المرأة التي تعاني وتسعى لقهر ظروف الحياة الصعبة؛ لتعطي نظرة شاملة للخطاب الروائي وتبعث الوعي لدى القارئ. فما هو الوعي الجديد التي تسعى الروائية لتشييده على مستوى فعل الكتابة الإبداعية وما سمات الوعي الآسيوي؟

الكلمات المفتاحية: كتابة - نسوية - آسيا جبار.

Summary:

The Arab creative woman sought to highlight herself in Arab and Western literary creativity in order to raise the voice of feminist talent in the written work at the international level, whether in Arabic or foreign languages. At their forefront is the international Algerian novelist, author of the masterpiece The Women of Algeria (les femmes d'Algerie) and her masterpiece "ARISE", to convey in her writing style the major national issues of the Algerian people, and the writer's own preoccupying issue is the concerns of Arab and Algerian women in particular, and establishes the foundations

of feminist writing, to call for the resonance of the feminist reality of the Lady of the Mountain, a woman who suffers and seeks To conquer difficult life circumstances; To give a comprehensive view of the novelist's discourse and raise awareness among the reader, what is the new awareness that the novelist seeks to build at the level of the act of creative writing, and what are the features of Asian awareness?

Key words: Writing - Feminism - Asiya Jabba.

مقدمة:

اعتبرت الدراسات الأدبية الخطاب الروائي هو البوتقة الفنية والفكرية، التي تنقل حقيقة الإنسان ومدى سعيه في الوجود من أجل إثبات ذاته تاريخيا وسياسيا وجماليًا ومعرفيًا، فيوظف الروائي كل قدراته الفكرية ليرتقي بنصه إلى أسنى معاني الحياة، فالكاتبة آسيا جبار حاولت في كتاباتها إيقاظ الضمير الفردي النسوي وحياة المرأة العربية، أمام صراعات الحياة مع طموحات الضمير الجمعي للقارئ النموذجي والقارئ الأدبي الذي يحيا داخل حقيقة النص الكاشفة لحقائق الواقع المعاش للذات العربية.

فكيف عبرت "آسيا جبار" عن وعيها الإبداعي الآسيوي ووعي المرأة العربية وهواجسها التاريخية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية إبداعا وواقعا؟

تيمة الهوية ورمزية المرأة / والوطن:

كانت المرأة العنصر الفعال في الثورة التحريرية وأخت الرجل الشهيد والمجاهد والمناضل في سبيل الحرية، فكانت مركز الحب والحنان والأمان وجندي الخفاء الذي يوقد الثورة من البيت الجزائري فنقلت لنا آسيا جبار جهاد المرأة بجسدها ووعيتها في سبيل الحرية فكانت الرجل الثاني / الفحل الذي أنشأ جيلا يثور بحثا عن العدل والنصر، ومدى التزام حرائر الوطن بالحفاظ على الشرف والكرامة، ومنزلتهن تضاهي الصحابيات الجليلات اللواتي وقفن مساندات الرسول عليه الصلاة والسلام في أداء رسالته (تحاول آسيا جبار رصد حجم الألم والمعاناة اللذين ولدهما "المحتل" في نفسية المرأة، وبالعودة إلى الرواية نجد أن كل النساء اللواتي جرى ذكرهن قد تجرّعن من هذه الكأس...)¹.

المرأة هي الهاجس الأول للمبدعة فتراها رمزا للخصوبة الإبداعية والعطاء منذ خلق الله السيدة حواء، بل أكثر هي الأرض والنماء والانتماء لهذا الوجود الفسيح الوجود التاريخي والفني والفكري طبعًا، فالمرأة

إذن هي الذاكرة الكبرى لولادة التاريخ واستمرار الحياة، نلاحظ ذلك في نصوص الروائية التي تقدس المرأة الجدة والأم والشابة والطفلة، فالجدة التي تقصّ قصصها الأسطورية الغزيرة بالعبير والقيم، وتورّخ للشهد البطولي لصنّاع الثورة والحرّية، هي الراوي والصانع الأول للمسار التاريخي لوجودية المرأة المقاومة (إنها إذا إعادة كتابة للتاريخ بوساطة الحكيم، وكيف لا والحكي موجود في الأزمنة، وفي كل الأمكنة وفي كل المجتمعات؛ بل الحكيم يبدأ من تاريخ الإنسانية ذاته. إنّه أي الحكيم والحياة سيان، يتعدّد بتعدّد الحياة الإنسانية وتنوّعها إذ لكلّ الطبقات، ولكلّ المجموعات الإنسانية حكاياتها)².

الشخصية البطلة شريفة بميزتها الأخلاقية منحتها الروائية هذه السّمة لتعبر عن الثقافة العربية الجزائرية في وسط القوة الذكورية، فلا يمكن للمرأة أن تخرج إلى الشارع وتحضر اجتماعات الرجال، وتلبس لباس المجاهدين في الجبال فبرزت المبدعة هنا قوّة الشخصية النسوية ودرجة الوعي بالثورة والكفاح المسلّح؛ كما كشفت الروائية المسكوت عنه بشناعة طرق تعذيب جنود الاحتلال للنساء بالاغتصاب والتشويه وشتى أنواع الظلم والإهانة وانتهاك الحرمات لكن هذه الحقائق هي الجزئيات الصغرى؛ التي أقامت وعي المرأة نحو هدفها الأسمى وهو الوطن أغلى من الجسد وقوة الحق وصوته لا بدّ أن يسمعه العالم قاطبة.

الشّخصية "حسية" مثلاً جعلها الراوي تلك المرأة الصادمة الباحثة عن الموت بشرف والاستشهاد في سبيل استقلال الوطن وحرية شعبه والتنديد ببشاعة المستعمر فتعرت المرأة عن خوفها وأصبحت تحلم بآبَن شهيد يخلد اسمه في التاريخ المجيد؛ (... فالمرأة الثائرة تطالب بالحركة الثورية / الرجال بأن تكون مناضلة في ميدان القتال كتجسيد للسؤال الحقيقي حول حق المرأة في الحضور الاجتماعي... وقد ساهمت حرب التحرير الجزائرية في كسر كثير من قيود المرأة...)³.

قدّمت لنا الروائية الرؤية الواعية للمرأة الجزائرية التي حطمت كل العراقيل والطابوهات، بغية التحرر وصنع القرار وتغيير الواقع البسيكولوجي والأنثروبولوجي في القضية التحررية للمرأة الجزائرية وخلقها لعالم جديد؛ كبراديعم للوعي الحضاري للمرأة باعتبارها جنس ثاني وسند وعمود فقري للرجل بل وفي نفس قيمة العطاء، والإنجاز ونموذج للحياة وتورّخ للحضارات الإنسانية واستمرار للأجيال البشرية التي تخلّد تاريخ أمجادها.

- جماليات وعي الذات النسوية (الوعي الآسيوي الإبداعي / الوعي النسوي الواقعي):

إن المرأة بعدها كائنا أنثويا نسويا حاملا لمشاعر إنسانية نظرا لأموّمتها فهي تمتلك نفسها من أجل الحفاظ على ذاتيتها الأنثوية وتسعى بها للتواصل مع الآخر العالم والمجتمع وذاتها بالدرجة الأولى لتنجز رسالتها الإنسانية السامية وهي التوازن بينها وبين الرجل وسماعها للصوت الموحد بينهما وهو الحرية والحب والهوية

(...الحوار بين الذات المقموعة ومجتمعها المتسلط على كيانها، لكن ما فيها من حوار لا يرقى إلى هذه التسمية والأجدر أن يسمى إملاء؛ فالمجتمع يملئ والفرد يتلقى وينفذ تنفيذا آليا وكأنه بلا إرادة، وهذا ليس حوارا.. فهو قرار الفرد بأن يكون عكس ما أراده مجتمعه منه. فالحوار يكون خيارا طبعيا، وردا تفاعليا بلا قسر ولا إكراه، بدافع ذاتي لدعم العلاقات الأولية في المجتمع وربط أفرادهم ببعضهم البعض الآخر. حوار من شأنه تبيان أثر الفعل الاجتماعي في الذات الفردية وما يترتب عليه من ردود في أفعالها).²

وعى المرأة موجه إلى إفادة الأمة العربية وشعوبها التي تعاني بصمت المرأة التي تستطيع تقديم الأفضل بل القوة الصّامة التي تبحث عن فرص لصنع القرار السياسي، والتاريخي، والايدولوجي، والبسيكولوجي للمرأة خارج الهوية وخارج كل الحصارات والطقوس والمعتقدات الباهتة التي تحصر حقها في تطوير وترقية الإنسانية، وتاريخها النسوي الحافل بكل ما هو جماليّ وجميل يصور المرأة بأسمى معاني الأنوثة والسلام من مخاض الولادة كأم إلى مخاض وتكون إبداعي للمبدعة بنواة الكتابة لكتابة وعقل فكري إلى جهاد مناضلة دبلوماسية بقوة ألف رجل، تحين لثقافتها وتاريخها لتتولد هذه العلائق في تأسيس الوعي والوعي المبدع للمرأة / المبدعة / المناضلة.

- علاقة المرأة بالوعي = علاقة الوعي بالمصير العربي/ العالمي
- الأسرة = الشعوب العربية
- العدالة = حق تقرير المصير
- الكفاح = التغيير والتطور
- المساواة مع الرجل = المسؤولية وإثبات الذات

المرأة مقابل مصطلحي للفاعلية والحياة والمثابرة والنجاح وإنشاء الجيل والتنمية الواعية للعقل العربي وبناء المرأة المثقفة؛ من خلال النص الروائي نفهم أن "آسيا جبار" تقدم لنا بحثا فكريا عن مرفولوجية المرأة الجزائرية والعربية فتطرحها كعملة ذات وجهين الأول مضمونه أن المرأة كائن ضعيف ومظلوم له سمة العبودية والخضوع والذلّ والحرمان، والثاني على أنها الإنسان الثائر على نفسه وعلى الرجل من أجل إثبات قوته، فوق المجتمع في فهم هذا التناقض القائم على الإشكالية الأساسية وهي الوعي بقوة / ضعف المرأة بين التحفظ والتجاوز في مكانتها الاجتماعية مع الرجل (...إذا كان التضاد في الموقف مبنيًا على ما اعتاده الفرد والمجتمع الشرقي من سيطرة الرجل على المرأة .. فإن هذا التضاد يتحوّل إلى صراع مزدوج؛ صراع بين الأنثى ومجتمعها من جهة، وبينها وبين نفسها من جهة أخرى... تناقض قائم بين المجتمع الشرقي والمجتمع الغربي في طرائق العيش وآلياته؛... والتناقض الذي يوجد ضمن الذات المفردة في تعاملها مع مجتمعها...)¹

تحاول المرأة رفع صوت، وعيها وذاتها الوطنية في سبيل ترك بصمة في الأرض التي ترمز للهوية والوجود بصفة عامة، فتتحدى كل العراقيل من أهمها رؤية المجتمع القاصرة التي تراها عبدا مملوكا وشيئا من أشياء الرجل؛ التي لا تتحرك من مكانها إلا بحركة وبأمر منه. كونها ربة بيت وآداة بيوتية تبقى حبيسة تربية الأبناء.

وضّحت الروائية عكس ما قيل عنها وما تعانيه المرأة في وسطها (عندما تستعصي المشكلات في واقع المجتمع، تستنفر الذات المفردة قوى الخيال، وتعود بها الذاكرة عبر اللاوعي الجمعي الكامن فيها إلى بدايات وجودها في العالم، حيث لا مجال لتفسير الواقع المعيش سوى بالأسطورة وطقوسها ذات السلطان البين على المجتمعات التي ولدتها .. فمعاناتها الأبدية من تسلط الرجل عليها وسجنه لها في الممنوعات الاجتماعية "الطابو الاجتماعي" وفرض إرادته عليها ومن ثم إلغاء إرادتها تجعله خصما لها ²).

الروائية "فاطمة الزهراء ايمناح" أو آسيا جبار الاسم الثاني واسم شهرة الذي يعدّ شهادة ولادة ثانية للبدعة التي تسعى لاكتشاف المرأة داخلها وداخل الضمير الجزائري النسوي قد ولدت الذات الواعية في خطابها المتسم بالجمالية الراقية والبنية السردية بنظام ثقافي راق يسمو بعوالم المرأة نحو الخلود والوجود الواقعي والأدبي فتطلق التيمة الكلاسيكية لديها بحظ خصوصية المرأة الجزائرية المعذبة إبان فترة الاحتلال الفرنسي وتوظف المرأة الجزائرية التي تعاني كأيقونة جمالية وثقافية تصور العلاقات التاريخية والأيدولوجية والبسيكولوجية والأنثروبولوجية المنظومة الاجتماعية الجزائرية عبر الأجيال الماضية التي طورت وعي المرأة ووعي الفكر النسوي.

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن خطاب المرأة في لغة "آسيا جبار" هو طرح واسع وبراديجم قائم بذاته يؤسس للغة الجمالية والمعرفية مصبه المرأة الجزائرية؛ ووعيها في تحرير ذاتها في الوجود والنداء بالقضية الجزائرية عبر النصّ والحكي النسوي، فآسيا جبار طوعت الخطاب الروائي بكفاءة إنجازية للنصّ الفكري الروائي، والعودة إلى التاريخ وسماعه بأذن المرأة وقراءته نسويا من أجل استنباط عناصره الفنية والفكرية لتعزز مفهوم الوعي لدى القوة النسوية المؤمنة والصانعة للاستقلال.

¹ آمنة بلعلي، آسيا جبار بين إكراهات الكتابة بلغة الآخر وسلطان الذاكرة و التاريخ. أشغال الملتقى العالمي حول تجربة آسيا جبار 2013. مخبر تحليل الخطاب. جامعة مولود معمري تيزي وزو. دار الأمل للطباعة والنشر 2013. الجزائر ص 89.

² المرجع نفسه. ص 15.

³ نوال السعداوي. الوجه العاري للمرأة العربية. المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر. ط2. بيروت. 1982. ص7.

⁴ سعد فاديا. عشتار المولودة. دار حوران، دمشق 1998. ص 73.